الشبكة العربية
للباحثات والباحثين الشباب
في مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

حرمان الطلاب من التعليم في قطاع غزة، وجه آخر للإبادة

ورقة سياسات

الشبكة العربية للباحثات والباحثين الشباب في مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية (YSRN):

تكونت الشبكة في مايو/آيار 2021 في إطار التعاون بين منتدى البدائل العربي للدراساتAFA والصندوق الوطني للديمقراطية NED، وتسعى الشبكة إلى تعزيز المعرفة الخاصة بالاحتياجات المتعلقة بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة العربية، من خلال بناء القدرات المعرفية والعملية لأعضاء الشبكة بتقديم مجموعة من التدريبات والاجتماعات في موضوعات متعلقة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، كما تسعى إلى تخريج جيل جديد من الباحثين الاقتصاديين والسياسيين في المنطقة يمكنهم إنتاج معرفة نقدية (علمية) حول الوضع العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في البلدان العربية. وكأحد أنشطة الشبكة تصدر سلسلة من أوراق السياسات الخاصة بوضع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة العربية كل عام.

منتدى البدائل العربي للدراسات (AFA):

مؤسسة بحثية عربية مستقلة، تعمل كمنصة لتفاعل الخبراء والباحثين لإنتاج معرفة وخطاب بديل في المنطقة العربية. عبر فتح مساحات وخلق خطاب وطرح رؤى وسياسات بديلة لمختلف الفاعلين في المجال العام. وذلك للمساهمة في الوصول لمجتمع يعتمد العلم مرجعيةً في المجالات الاجتماعية المختلفة كطريق للعدالة والديمقراطية والتحرر بشقهم السياسي والاقتصادي/ الاجتماعي، يحتفي بالتنوع الثقافي ويقوم على مبدأ المواطنة والمساواة.

الشبكة العربية
للباحثات والباحثين الشباب
في مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

كل الصور المأخوذة هي من مصادر مفتوحة على الإنترنت

محتوى هذا الإصدار لا يعبر عن رأي منتدى البدائل العربي أو أي من الشركاء

منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives
AFA
الشبكة العربية
للباحثات والباحثين الشباب
في مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

حرمان الطلاب من التعليم في قطاع غزة، وجه آخر للإبادة

ورقة سياسات

كتابة: أروى أبو هشهش

باحثة في مجال العلوم الاجتماعية، وطالبة دكتوراه في برنامج الدكتوراه في العلوم الاجتماعية في جامعة بيرزيت. عملت باحثة مساعدة في معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني- ماس لمدة ثماني سنوات، وتعمل حاليًا باحثة ومترجمة في معهد القارات الثلاث للبحث الاجتماعي.

مراجعة منهجية

منتدى البدائل العربي للدراسات

تدقيق لغوي

أحمد الشبيني

تصميم

محمد علاء

تقديم

عكست حرب الإبادة الجماعية التي تشنها دولة الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر/ تشرين أول من العام الماضي نفسها على كافة نواحي الحياة هناك، وكان قطاع التعليم من القطاعات الأكثر تضررًا، حيث أعلنت وزارة التربية والتعليم العالي عن توقف العام الدراسي بعد أيام قليلة من الحرب بسبب استحالة سير العملية التعليمية نتيجة الظروف الكارثية التي يعانيها القطاع بسبب القصف المستمر الذي طال جميع المباني والبنى التحتية، بما في ذلك عديدًا من المؤسسات التعليمية، التي أدت إلى عملية نزوح مستمرة لأهالي القطاع بحثًا عن مناطق آمنة. وتوقف العملية التعليمية، يعني توقف عملية تلقي المعارف والمهارات، بما تنطوي عليه من أبعاد نفسية وجسدية وتربوية وثقافية واجتماعية وطنية. وسيكون لهذه المسألة آثار بالغة ستنعكس لسنوات طويلة على الأراضي الفلسطينية كافة وليس فقط قطاع غزة. ومن الجدير بالذكر أن استهداف الاحتلال الإسرائيلي للتعليم في فلسطين كان دائمًا جزءًا من سياساته الممنهجة لطمس الهوية الوطنية الفلسطينية وتجهيل الشعب الفلسطيني. تسعى هذه الورقة إلى بحث أثر الإبادة الجارية في قطاع غزة في قطاع التعليم، ورصد بعض المبادرات المحلية والدولية التي تعمل على التخفيف من حدة هذا الأثر، بالإضافة إلى اقتراح بعض التوصيات في هذا الشأن.

أثر العدوان على قطاع غزة في قطاع التعليم

بلغ عدد الشهداء بين طلبة المدارس منذ السابع من أكتوبر/ تشرين أول 2023 حتى 28 مايو/ أيار 2024 أكثر من 6649 شهيدًا، وتجاوز عدد الجرحى 10800 شهيد، بينما بلغ عدد الشهداء من طلبة الجامعات أكثر من 547 شهيدًا، وعدد الجرحى نحو 1100 في نفس الفترة. أما عدد الشهداء في الكوادر التربوية في المدارس فوصل إلى 334 شهيدًا و1089 جريحًا، وبلغ عدد شهداء الكوادر التربوية في الجامعات 95 شهيدًا، من بينهم رؤساء ثلاث جامعات، ونحو 1060 جريحًا. ويذكر أن عددًا كبيرًا من الجرحى بات يعاني إعاقات دائمة نتيجة بتر أحد أطرافه. كانت نسبة الإعاقة في غزة قبل هذه الحرب حوالي 7%، وسترتفع هذه النسبة بعد الحرب بشكل كبير بسبب العدد المتزايد من الجرحى، وخصوصًا بين الأطفال، وانخفاض إمكان الرعاية الطبية1. هذا بالإضافة إلى العدد الكبير من المعتقلين الذين يتعرضون لانتهاكات جسيمة وتعذيب وحشي في سجون الاحتلال، بالإضافة إلى الاختفاء القسري في سجون سرية كشفت بعض المنظمات الحقوقية عنها أخيرًا[1].

أما على مستوى البنية التحتية، فقد تعرضت أكثر من 200 مدرسة حكومية وتابعة لوكالة الغوث لأضرار بالغة نتيجة القصف، بينما تدمرت 62 مدرسة بشكل كامل، (ما يشكل 75٪ من جميع المباني المدرسية في جميع أنحاء قطاع غزة)2، وتعرضت 19 جامعة لأضرار بالغة، وتدمر أكثر من 31 مبنى تابعًا للجامعات بشكل كامل، وتدمر نحو 55 مبنى بشكل جزئي من بينها مبانٍ لجامعة الأزهر، والجامعة الإسلامية، والقدس المفتوحة. وتقدر الخسائر المادية في قطاع التعليم بـ720 مليون دولار. يضاف إلى ذلك الهجمة المستمرة على وكالة تشغيل وغوث اللاجئين التي تقدم خدمات مختلفة إلى أهالي القطاع، ومن بينها خدمات التعليم، حيث استخدمت الاتهامات المزعومة حول مشاركة عدد من موظفي الأونروا في أحداث السابع من أكتوبر ذريعة لتجميد عديد من البلدان، وعلى رأسها الولايات المتحدة، تمويلها لوكالة الغوث، وهو ما سيكون له آثار وخيمة في التعليم، إذ يتلقى نحو 300 ألف طالب وطالبة تعليمهم/ن في مدارس وكالة الغوث[2].

أدت هذه الظروف مجتمعة إلى توقف وشلل تام في العملية التعليمية قادت إلى حرمان نحو 620 ألف طالب وطالبة في قطاع غزة من الذهاب إلى مدارسهم، ونحو 88 ألف طالب وطالبة من الذهاب إلى جامعاتهم، هذا وقد فقد نحو 22 ألفًا وظائفهم في قطاع التعليم في تناقض واضح مع الحق في التعليم الذي تنص عليه عديد من الشرائع الدولية وعلى رأسها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي نصت عليه المادة 26 من الإعلان. وبحسب مدير عام مركز إبداع المعلم: رفعت الصباح، فإن «آثار العدوان ستنعكس على الجوانب العاطفية والنفسية والاجتماعية للطلبة وستحتاج لسنوات لاستعادة عافيتها». وقد رافق هذا العدوان ظهور عديد من الاضطرابات النفسية بين صفوف الأطفال والطلبة، منها مستويات عالية جدًّا من القلق المستمر، وفقدان الشهية، وعدم القدرة على النوم والهلع والنوبات الانفعالية في كل مرة تحدث فيها تفجيرات3، بالإضافة إلى التشنجات والتبول اللاإرادي، والتأتأة.

البدائل المحلية للتخفيف من أثر العدوان على قطاع التعليم

ورغم التعقيد الكبير والخطر المستمر، انطلق عدد محدود ولكن مهم من المبادرات الشعبية والرسمية لمساعدة طلبة قطاع غزة على استئناف مسيرتهم التعليمية، وانقسمت إلى مبادرات تستهدف طلبة المدارس وأخرى تستهدف طلبة الجامعات. بين هذه المبادرات ما تقدمه وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الأونروا ووزارة التربية والتعليم الفلسطينية بالتنسيق مع المنظمات الفلسطينية من أنشطة ترفيهية للأطفال، وأنشطة تعليم لامنهجية. بالإضافة إلى ترتيب امتحانات التوجيهي للطلبة الغزيين في جمهورية مصر العربية. وعلى المستوى الشعبي، أطلق عشرات التربويين في قطاع غزة عديدًا من المبادرات التي تستهدف تعليم الأطفال وخاصة في الصفوف الابتدائية، والتي تركز بشكل أساسي في تعليم المواد الأساسية كالرياضيات واللغة العربية واللغة الإنجليزية، كما توفر مساحات للعب والتفريغ النفسي للأطفال. وتنظم هذه المبادرات في خيم تعليمية سواء في نقاط عشوائية يحددها المبادرون حسب الظروف أو في مراكز الإيواء[3].

أما على مستوى الجامعات، فلجامعة بيرزيت وجامعة النجاح الوطنية الواقعتان في الضفة الغربية مبادرات في غاية الأهمية، حيث أطلقت جامعة بيرزيت مبادرة بعنوان: «إعادة الأمل» لدعم وتعزيز التعليم العالي في قطاع غزة، وهي مبادرة تنطلق من «رؤية قائمة على مفهومين: «المؤازرة»، أي المساندة من خلال العمل المشترك مع مؤسسات التعليم العالي في القطاع لتوفير ما أمكن للجامعات والأكاديميين والطلبة للعودة إلى لعب دورهم المجتمعي وتحقيق حقهم في التعليم، و»إعادة الأمل» عبر إعادة بناء حياة ممكنة وواقعية في غزة رغم ما حل بها من دمار إبادي4». وتقوم المبادرة على ثلاثة تدخلات مركزية: أولًا، البنية التحتية والتعاضد المؤسساتي، الذي يهدف إلى توفير الموارد لدعم البنية التحتية المؤسساتية، ومساندة الباحثين والطلبة في الوصول إلى مصادر المعرفة الضرورية لاستكمال مسيرتهم الأكاديمية، وذلك بالتنسيق مع المؤسسات الأكاديمية في القطاع. ثانيًا، التعليم الجامعي بالاتفاق مع جامعات القطاع، وينطوي على توفير الكادر التربوي من ناحية، وبناء البنية التحتية لجعل التعليم عن بُعد لطلبة القطاع وتجهيز الجامعة لإمكانية استقبال جزء من طلبة القطاع حضوريًا في جامعة بيرزيت في تخصصات محددة بعد توقف الحرب. وثالثًا، البحث التحويلي من «خلال الشراكات بين باحثي جامعة بيرزيت والجامعات العالمية وباحثي الجامعات في القطاع في أبحاث ودراسات تجيب على/ أو تسائل الوقائع التي أنتجها العدوان الإبادي بحيث تكون منبثقة من أولويات المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة». وتتميز هذه المبادرة بكونها مبادرة طوعية بالكامل، أي أن التربويين المشاركين/ات فيها لن يتلقوا أي مقابل مالي، والطلبة أنفسهم لن يطلب منهم دفع أي رسوم. ويشارك في هذه المبادرة 140 أستاذًا متطوعًا من جامعة بيرزيت ومن جامعات القطاع، بينما وصل عدد الطلاب المسجلين حتى الآن 10000 طالب، وتوفر المبادرة 155 مساقًا.

وفي شباط/ فبراير من هذا العام، أطلقت جامعة النجاح الوطنية بالشراكة مع اتحاد جامعات البحر المتوسط وصندوق منحة الطلاب الفلسطينيين، برنامج دعم التعليم الفني لطلبة التعليم العالي في قطاع غزة. وهو عبارة عن مبادرة تمكن طلبة قطاع غزة من طلبة الدبلوم والبكالوريوس والدراسات العليا من الالتحاق كطلاب «زائرين» في المواد التعليمية المختلفة التي توفرها المبادرة، وهي مواد تشمل مجموعة متنوعة من التخصصات، ويقصد بطلبة زائرين أي أن الطلبة يستكملون تعليمهم الجامعي لفترة مؤقتة إلى حين تسترد جامعات القطاع قدرتها على استئناف مسيرتها التعليمية، ويحصل الطلبة على الشهادات من جامعاتهم الأصلية في قطاع غزة[4]. ويشارك في هذه المبادرة 20 جامعة ومؤسسة حول العالم، و250 أستاذًا متطوعًا، وتوفر 190 مساقًا.

تشكل المبادرات الجامعية تدخلات مهمة في ظل الظرف العصيب الذي يعانيه قطاع غزة وقطاع التعليم هناك، وسيكون لها دور مهم في مساعدة الطلبة الغزيين على استئناف تعليمهم، وخاصة في ظل الحقيقة التي تشير إلى عدم إمكانية استئناف العملية التعليمية في قطاع غزة مباشرة حتى عند توقف الحرب. ومع ذلك فإن هذه المبادرات تبقى غير كافية أولًا لاستيعاب جميع الطلبة، فبحسب مقابلة تلفزيونية مع الناشط التربوي ينال السعد، فإن أعداد الطلبة الملتحقين في كافة المبادرات الجامعية يبلغ نحو 25 ألف طالب وطالبة، وهو ما يشكل نحو 28% فقط من إجمالي طلبة الجامعات في غزة.

كذلك، فإن هذه المبادرات لا تستطيع تغطية جميع التخصصات وخاصة التخصصات التي تتطلب تواجدًا طبيعيًّا للطلبة[4]. أما المبادرات المدرسية، الشعبية منها والرسمية، فتمتاز بأنها مبادرات غير منتظمة، وفي بعض الأحيان عشوائية، مع ذلك تكمن أهميتها وخاصة الشعبية، في أنها أقدر على التفاعل مع تطورات الواقع، وبقدرتها على توفير مساحات للأطفال للعب والتعلم غير المنهجي في ظل انعدام إمكانية استئناف رسمي للتعليم هناك في ظل الحرب.

مبادرات إقليمية ودولية للتخفيف من أثر العدوان على قطاع التعليم

لم تقتصر المبادرات على المستوى الفلسطيني بل امتدت إلى بلدان أخرى، منها مبادرة «جامعيون من أجل فلسطين» التي أطلقتها مجموعة من الجامعيين التونسيين لتدريس الطلبة الفلسطينيين عن بعد بالتنسيق مع السفارة الفلسطينية في تونس. وقد عقدت المبادرة مجموعة من الاجتماعات مع وزارة التعليم العالي لترتيب الإجراءات التقنية واللوجستية[11].

كذلك أطلقت مجموعة من الأكاديميين الكنديين مبادرة بعنوان: «الطلاب والباحثون الفلسطينيون في خطر (PSSAR)»، التي تسعى إلى تسهيل قبولهم في الجامعات الكندية، وتعمل المبادرة على الربط بين الطلبة والباحثين الغزيين والجامعات الكندية، وتعطي المبادرة الأولوية للطلاب الباحثين والخريجين الجدد (في السنوات الأربع الأخيرة) من غزة[12].

حلول وتوصيات:

إن العدوان الأخير وما نجم عنه من وقائع غير مسبوقة على الشعب الفلسطيني وقطاع التعليم هناك، وما تفرضه من تحديات إضافية على قطاع التعليم المثقل أساسًا نتيجة الاعتداءات المتكررة على القطاع، يتطلب تدخلات جبارة تتطلب تضافر جهود الجهات الرسمية والشعبية الفلسطينية والدولية كافة، **وفيما يلي نقترح بعض السياسات ذات الأولوية والتي يمكن أن تلعب دورًا في تخفيف آثار هذا العدوان على التعليم في قطاع غزة:**

1. إن استئناف جدي ومنتظم للعملية التعليمية لا يمكن أن يتم دون وقف فوري للحرب وبدء عملية سريعة لإعادة الإعمار، وعليه فإن الجهود الأساسية يجب أن تكون في المقام الأول من أجل تحقيق هذا الهدف.
2. من المهم أن تراعي عملية إعادة الإعمار في المدارس والمؤسسات التعليمية الحقائق الجديدة المرتبطة بارتفاع معدلات الإعاقة بين صفوف الأطفال والطلبة، ما يتطلب بناء وتأهيل مبانٍ تتواءم مع هذه الاحتياجات المستجدة.
3. يجب على وزارة التربية والتعليم الفلسطينية أن تشجيع المؤسسات الإغاثية في قطاع غزة على الاستمرار في تقديم خدمات التعليم غير المنهجي إلى طلبة المدارس، من خلال اجتماعات دورية لتنسيق هذه الخدمات وضمان توفرها في جميع المناطق في قطاع غزة.
4. أن تطور وزارة التربية والتعليم مبادرات تعليم جامعي جديدة بالتنسيق مع جامعات فلسطينية أخرى أو عربية ودولية وخاصة في البلدان التي أبدت حكوماتها مواقف إيجابية خلال العدوان.
5. أن تطور وزارة التربية والتعليم الفلسطينية برامج تعليم إلكترونية لطلبة المدارس وخاصة للصفوف العليا التي يستطيع طلبتها التعامل مع التكنولوجيا، على أن تراعي هذه البرامج خصوصيات الوضع هناك، بما فيها الانقطاع المستمر للإنترنت والكهرباء. ومن المهم أن تتوفر هذه البرامج على مساحات للدعم والتفريغ النفسي، وليس فقط تقديم المعارف والمهارات.
6. ضرورة تنسيق الجهود بين المبادرات الجامعية المختلفة حتى تلعب هذه المبادرات دورًا تكميليًّا وتوفر أكبر قدر ممكن من المساقات والتخصصات، ويجب أن تلعب وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية هذا الدور التنسيقي مع المؤسسات التعليمية المختلفة.
7. توفير مساحات توفر الحد الأدنى لاستئناف التعليم المدرسي فور توقف الحرب، حتى لو كانت تلك المساحات عبارة عن خيام، إلى حين إعادة بناء المدارس المدمرة وتأهيل المدارس التي لم تدمر واستخدمت كمراكز إيواء في فترة الحرب.
8. زيادة الميزانيات المخصصة لقطاع التعليم، وتوجيه القطاع الخاص الفلسطيني إلى صرف ميزانيات إضافية، ضمن بند المسؤولية الاجتماعية نحو التعليم.
9. تخصيص ميزانية محددة توفر برامج دعم نفسي للتخفيف ومعالجة آثار الصدمات والإضرابات النفسية التي أفرزها العدوان.
10. وإلى حين تحقيق هذه التوصيات، من المهم الحشد دوليًّا من أجل حماية المدنيين وفقًا للاتفاقيات الدولية التي تدعم ذلك، بما في ذلك حماية الطلبة والأطفال، وكذلك حماية البنية التحتية الخاصة بالتعليم، والتي يتعارض استهدافها بشكل مباشر مع الحقوق المنصوص عليها في عديد من الاتفاقيات، منها اتفاقيات جنيف، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وإعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية، وإعلان المدارس الآمنة، بالإضافة إلى اتفاقيات حماية الأطفال ومن بينها اتفاقية حقوق الطفل CRC. كذلك الاتفاقيات التي تنص على حماية الإرث الثقافي بما في ذلك البنية التحتية، ومن بين هذه الاتفاقيات البروتوكول الإضافي لاتفاقية لاهاي بشأن حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح 1954.

الخاتمة:

يشكل قطاع التعليم ركيزة أساسية من ركائز النهوض في أي مجتمع لتحقيق التنمية، ويتميز هذا القطاع بأهمية مضاعفة في الأراضي الفلسطيني لدوره في حماية الرواية الفلسطينية والإرث الثقافي والمعرفي الفلسطيني الذي يحمي حقوقه الوطنية والسياسية، كما يشكل قطاعًا أساسيًّا لتقديم إجابات عملية حول الإشكالات التي يعانيها الشعب الفلسطيني في ظل الواقع المعقد تحت الاحتلال. يعكس استهداف الاحتلال الإسرائيلي المتواصل لقطاع التعليم سواء في الإبادة الأخيرة أو على مدار احتلاله المتواصل منذ 75 عامًا سياسة ممنهجة لتقويض إمكانات الشعب الفلسطيني وضرب قدرته على النمو والتطور. وفي هذا الإطار فإن هذه الورقة، إلى جانب أوراق شبيهة، بما فيها من توضيح لآثار العدوان على قطاع التعليم ورصد للتجارب المحلية والدولية وبما تقترحه من توصيات للتخفيف من أثر العدوان على هذا القطاع المهم تشكّل نقطة انطلاق لصناع السياسات في فلسطين لاستعادة هذا الدور الحيوي لقطاع التعليم والتخفيف من الآثار الكارثية للعدوان الجاري عليه.

المراجع

1. خلود ناصر، من فضاءات للتعلم إلى مساحات مستباحة: الحرب والتعليم المدرسي في قطاع غزة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 19 شباط/ فبراير 2024. من فضاءات للتعلم إلى مساحات مستباحة: الحرب والتعليم المدرسي في قطاع غزة | مؤسسة الدراسات الفلسطينية (palestine-studies.org)

2. United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA). "اليوم العالمي للتعليم 2024: مؤسسات الأمم المتحدة: إنهاء النزاع أمر ضروري." UNRWA, January 24, 2024

3. اليونسيف، قصص الفقدان والحزن: ما لا يقل عن 17 ألف طفل غير مصحوبين بذويهم أو منفصلين عن والديهم في قطاع غزة، اليونسيف، 2 شباط/ فبراير 2024. https://bit.ly/4eF4Jl5

4. الموقع الرسمي لجامعة بيرزيت، https://bit.ly/4eGII5K

5. الموقع الرسمي لجامعة النجاح الوطنية الموقع، https://initiative.najah.edu/ar/

6. 10 قناة الغد، ما الذي تبقى من قطاع التعليم في قطاع غزة بعد العدوان الإسرائيلي؟ https://www.youtube.com/watch?v=ny9Ksy9x7cg&t=37s

7. 11 ألترا تونس، جامعيون تونسيون يطلقون مبادرة لتدريس الطلبة الفلسطنيين في غزة عن بعد، 18 نيسان/ إبريل 2024. https://bit.ly/3RL2H9g

8. Palestine Academy for Science and Technology, A group of Canadian academics has launched an Initiative: Build Future and Support Palestinian Students & Scholars At Risk -PS-SAR, 3 March 2024. https://bit.ly/4cyh34S